مقصدية الخبر والإنشاء في الخطاب القرآني

"الإتقان في علوم القرآن أنموذجًا"

إعداد

أسماء علي موسى

مدرس مساعد – قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة بني سويف

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في شكل من أشكال التقاطع المعرفي بين تراثنا اللغوي العربي متمثلاً في بعض جوانبه البلاغية في كتاب الإتقان في علوم القرآن، وبين الدرس الألسني الحديث متجسدا في بعض نظرياته المعاصرة؛ وهي نظرية الأفعال الكلامية، وعليه يتغيا هذا البحث دراسة مقصدية الخبروالإنشاء في كتاب الإتقان لغرض الكشف عن أفعال الكلام التي تتعدى صيغتها النحوية إلى مقاصد ضمنية مرتبطة بالسياق المقامي التواصلي الذي تنجزفيه، وهذا ما يعرف بأفعال الكلام غير المباشرة التي يقتصر عليها البحث.

الكلمات المفتاحية: القصدية، الخطاب القرآني، الخبروالإنشاء، الإتقان في علوم القرآن، أفعال الكلام.

Abstract:

This study aims to investigate a particular form of cognitive intersection between our Arabic linguistic heritage، as exemplified in the rhetorical aspects of "*Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an*"، and contemporary linguistic studies، specifically the theory of speech acts. Consequently، this research seeks to conduct a intended study of the Declarative and Imperative speech in "*Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an*" to uncover the speech acts that transcend their grammatical forms and extend to implicit meanings linked to the contextual and communicative situation in which they are performed. This research is specifically limited to indirect speech acts.

Keywords:

Intention، Quranic Discourse، Declarative and Imperative، Al-Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an، speech acts.

المقدمة

تعد المقاربة التداولية للغة مهمة جدًا لتناولها الظاهرة اللغوية أثناء عملية التخاطب، فالتحليل التداولي تحليل جاد؛ لأنه يولي اهتماما كبيرا في مقامه الأول بالسياق الاستعمالي للألفاظ، وتعد نظرية أفعال الكلام: (Theory of Speech Acts) الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وتتمثل أهمية هذه النظرية في طبيعة نظرتها المغايرة للغة من حيث تجاوزها للنظرة التقليدية للغة_ التي كانت تعد اللغة وسلية للتواصل والتعبير عن المشاعر، وتبادل المعلومات_ والتي كانت تعتمد في المقام الأول على الاستعمال المعرفي والوصفي للكلام، إلى التركيز على البعد الإنجازي للغة باعتبارها قوة فعالة في الو اقع ومؤثرة؛ فألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل، فأي معلومة " تقدم لشخص ما مثارة بواسطة شيء ما، وتسعى إلى تحقيق هدف ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائري في تلك الحياة العادية للناس"[1].

وقد ارتبطت نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي بحقول معرفية كثيرة كالفلسفة والنحو والبلاغة وعلوم القرآن، إذ تناولها السيوطي في إتقانه تحت مسمى الخبر والإنشاء، وقد تطرق إلى قصدية الإنشاء والخبر، في معرض حديثه عن المعاني التي تخرج إليها هذه الأساليب، وكان الغرض خدمة النص القرآني، و انطلاقا من ذلك يسعى هذا البحث إلى إبراز مدى غنى تراثنا العربي وإلمامه بما جاءت به النظريات اللسانية الحديثة.

وقد شاع مصطلح الفعل الكلامي[2] بين الدارسين، واختلفت تعريفاته؛ لاختلاف المرجعيات التي ينطلق منها الباحثون، وحسب المتفق عليه بين الباحثين أن الفعل الكلامي "هو التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية"[3]، فجوهر الفعل الكلامي هو الإنجاز الذي يؤديه التكلم

---

[1] بوفرومة حكيمة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم: مقاربة تداولية, جامعة محمد بوطياف, المسيلة, مجلة الخطاب, ع3, 2008م, صـــ 11 نقلا عن: Voir: M.BakHTINE, Esthetique de la creation verb, Galimard,Paris,p. 29

[2] ويتعين أن الفعل في اللغة العربية يدخل ضمن باب المشترك اللفظي, بحسب بعض كتب فقه اللغة, فحين نتحدث عن الفعل نقصد به الصيغة؛ بمعناها الصرفي والنحوي, كما نقصد الحدوث والوقوع في اللغة الإنجليزية والفرنسية, فيمكن النظر إليه بوصفه: (Verb), كما يمكن أن نعده: (Act- Action . ينظر: العياشي إدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني(من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانيين الضابطة لها), منشورات الاختلاف, 2011م, مطابع الدار العربية للعلوم, بيروت, ص73

[3] نعمان بوقرة: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية: قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة

بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومنه نلاحظ العملية الإنجازية التي تطبع الفعل الكلامي، والتي تجعله يتجاوز حدود البنية اللغوية التي توقفت عندها النظرية اللسانية البنيوية[1].

ويقوم التحليل اللغوي ، في هذه النظرية، على اكتشاف أفعال الكلام وتصنيفها على دعامتين منهجيتين أساسيتين:

أولاً: القصدية:

تشير القصدية بالمعنى الأوسع لهذا المصطلح، إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها، وقد خصص قدر كبير من البحث للمقاصد في مختلف أنظمة المعرفة كعلم الاجتماع وعلم النفس، والفلسفة والذكاء الاصطناعي[2]، وتعد المقاصد الركيزة الأساسية لنقل المعنى كما أراده المرسل، لأنه لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع، أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات[3].

فقد شكلت القصدية الأساس الذي انبنت عليه نظرية الأفعال الكلامية، وتتجلى انطلاقا من الربط بين العبارات اللغوية، وغرض المتكلم أو مقصده من الفعل الكلامي، إذ " يجب أن ينظر إلى الإنجاز بوصفه جانبا قصديًا لفعل كلامي في سياق الموقف الكلي البرجماتي التواصلي"[4].

اللسانية التراثية, مجلة اللغة والأدب, الجزائر, ع17, 2006م,صـ69. وقد عرّف الفعل الكلامي بأنه" الإنجاز الذي يؤديه المتكلم, بمجرد تلفظه بملفوظات معينة, ومن أمثلته الأمر والنهي والسؤال والتعيين والإقالة والتعزية والتهنئة". مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب, دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي, دار الطليعة/ لبنان, 2005م, صـ10

[1] ينظر:سامية يامنة: سياق الحال في الفعل الكلامي: مقاربة تداولية, أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه,إشراف: أد/ أحمد عزوز, جامعة وهران, الجزائر, 2012م, صـ137

[2] ينظر: عاصم شحاتة علي: مدخل إلى علم النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجر اند ولفجانغ دريسلر, مجلة التجديد, مج16, ع31, 2012م, صـ245.

[3] عبدالهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب, مقاربة تداولية, دار الكتاب الجديد, ط1,ليبيا,2004م, صـ183.

[4] واوزيناك زتسيلاف: مدخل إلى علم النص , مشكلات بناء النص: ترجمة سعيد حسن بحيري, مؤسسة المختار, القاهرة, ط1 , 2003م, صـ21. فكل فعل كلامي يقوم على قصد معين, وله تأثيره ودوره في ضبط القوة الإنجازية المرادة, فعد الغرض الإنجازي عنصرًا أو مكونًا من مكونات القوة الإنجازية, فمثلاً الغرض

ثانيًا: السياق العام بأنواعه: أي السياق الذي يجري فيه القول(سياق الحال) بكل معطياته الثقافية والاجتماعية والنفسية، وقد قرر أوستن أن الأقوال تنتج ضمن سياقات محددة، فتضحى دلالاتها جزءًا لا يتجزأ من هذه السياقات[1].

ويرى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، فقصد المتكلم وحده لا يكفي، بل لا بد من الاستناد في ذلك إلى العرف اللغوي، " وإذا كان العرف اعتبارًا تداوليًا، فإن منطوقًا مثل: هل يمكنك أن تفتح الباب؟ أو هل يمكنني الدخول؟ سوف يدلل على ارتباط التمييز بين أفعال الكلام المباشرة و أفعال الكلام غير المباشرة بالعرف ارتباطًا قويًا. إذا كان الاستفهام يستعمل فعلاً كلاميًا مباشرًا للسؤال، فإنه يستعمل أيضًا فعلاً كلاميًا غير مباشر للطلب. من اليسير أن نلاحظ أن المنطوقين الأخيرين لا يتماثلان تماثلاً تامًا مع الاستفهام العادي. يبين العرف أن الإجابة عن أحد المنطوقين ليست بـ نعم ولا بـــ لا، ويبين أن الصيغة الدالة على الامكان لا تسأل عادة عن معلومات، بل هي علامة عن الالتماس، فغالبًا ما تصاحبها عبارة من فضلك، وكذلك الجملة الثانية فهي تدل على أخذ الإذن بالدخول"[2].

ومن هنا يمكننا القول أن القوة الإنجازية للخطاب "تمثل جزءًا من القالب التداولي، كما تنتمي إلى المستوى العلائقي للجملة، أي المستوى الذي يؤشر للعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب من جهة، والمتكلم وفحوى خطابه من جهة أخرى، فمثلاً جملة: يتمنى أحمد أن يفوز في المسابقة؛ فتقويم المتكلم راجع إلى إرادته، أي إلى بالنسبة لتحقيق الو اقعة المتمثلة في الفوز في المسابقة، فيريد المتكلم أن يتحقق مضمون الو اقعة، والعلاقة قائمة بينه وبين فحوى الخطاب،

الإنجازي للالتماس هو ذاته الغرض الإنجازي لأنواع الطلب, لأن كل منها يهدف لجعل المستمع يفعل أشياء محددة, لكن ذلك يختلف عن القوة الإنجازية, وبناء على ذلك يعد سيرل القوة الإنجازية حصيلة عناصر عدة, والغرض الإنجازي واحد من أهم تلك العناصر, كما استفاد سيرل من نتائج المنطق الحديث فيرى أن الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللغة. ينظر:محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية: دراسة في التحليل التداولي للخطاب, ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة, تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيل علوي, عالم الكتب الحديث, إربد- الأردن, 2014م, ص311. 317.

[1] ينظر: سمية السيد حسن عبدالله: أثر السياق في توجيه المعنى في حاشية الشهاب الخفاضي على تفسير البيضاوي: بحث مقدم لاستكمال الحصول على درجة الدكتوراه, جامعة بني سويف, كلية الآداب, 2022م, ص650

[2] محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية,ص314, 315

وليس بينه وبين المخاطب، والخصائص التي تشكل الصورة السطحية لهذه الجملة؛ (صرفية وتركيبية وتنغيمية). وما يخص النمط الجملي؛ فهذه خصائص الجملة الخبرية التي تتميز بخلوها من مؤشرات صرفية وتركيبية موسومة، وهذا بخلاف أنماط الجمل الأخرى كالاستفهام والأمر، ومعلوم أن النمط الجملي يمكن في التأشير للقوة الإنجازية، ومعنى ذلك أن الجملة السابقة تواكبها القوة الإنجازية الإخبار وتعبر عن موقف ذاتي إرادي يتمثل في التمنى"[1].

لذلك يمكنني القول بأن قراءة أدبيات تداولية أفعال الكلام تدلنا على أن الفعل الكلامي" يمتلك أغراضًا إنجازية متباينة بتباين ملابسات استعماله. يعرف غرض الطلب الإنجازي قوى تعبيرية عدة تمتد من الأمر المباشر حتى التمني"[2].

وسوف يقتصر هذا البحث على الأفعال الكلامية غير المباشرة:

يتضمن الفعل الكلامي غير المباشر فعلاً إنجازيًا مسلزمًا مقاميًا، ولا يظهر_ الفعل غير المباشر_ في الصيغة الشكلية للخطاب إلا بالرجوع إلى البنية العميقة للجملة، وذلك من خلال البحث عن دليل للوصول إلى القصد، ويستعمل للأفعال الكلامية غير المباشرة استراتيجية تلميحية يمكن من خلالها يعبر المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي لينجز أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عند اللفظ؛ معتمدا في ذلك على خلفية المعلومات المشتركة بينه وبين المخاطب؛ سواء كانت المعلومات لغوية أو غير لغوية[3]، فضلا عن اعتماد المتكلم على قوة الإدراك والاستدلال لدى المخاطب[4].

وتعد الأفعال الكلامية غير المباشرة الركيزة التي تنهض عليها نظرية الأفعال الكلامية للوصول إلى قصد المتكلم، إذ تخالف القوة الإنجازية الحرفية قوته الإنجازية غير الحرفية التي هي

---

[1] ينظر: نعيمة الزهري: الإنشاء وأساليبه بين ألفية بن مالك والنحو الوظيفي, بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة, تنسيق حافظ إسماعيل علوي, عالم الكتب الحديث,2014م , ص527.

[2] محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية, ص312

[3] ينظر: نور حيدر كاظم والبدري, وأحمد عبدالله: الأفعال الكلامية غير المباشرة عند علم الدين السخاوي, جامعة واسط, العراق, كلية الآداب, قسم اللغة العربية, مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية, مج2, ع1, 2021م, ص366. وسمية السيد حسن عبدالله: أثر السياق في توجيه المعنى في حاشية الشهاب الخفاضي على تفسير البيضاوي: ص652

[4] ينظر: مؤيد آل صونيت: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي, بيروت , لبنان, مكتبة الحضارة, ط1, 2010م, ص101, 102.. وعلي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب, القاهرة , دار نوبار, ط1,1996م, ص52.

مراد المتكلم، فيكون ما يقوله غير مطابق لما يعنيه، وهذه الفكرة الأساسية التي تعالجها الأفعال الكلامية غير المباشرة ؛لأن المتكلم لا يقصد ما يقول فحسب، بل يتعدى قصده إلى أكثر من ذلك؛ معتمدا في ذلك على الخلفية المشتركة بين المتكلم والمخاطب[1].

نظرية الأفعال الكلامية في الدراسات العربية:

يقابل نظرية الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي هو دراسة دلالات الأساليب العربية المختلفة والمتمثلة في نظرية الخبروالإنشاء، وهي الصورة المنهجية لهذه النظرية عندهم، فالخبروالإنشاء هو الوجه العربي لنظرية الأفعال الكلامية الحديثة والذي يندرج ضمن علم المعاني الذي يُعنى "بتتبع تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل به من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[2].

ونلاحظ من قول السكاكي تركيزه على الإفادة من الكلام، فالإفادة تعد قرينة لغوية وظيفية جادة[3]، كما أن مفهوم الإفادة محكوم بمعياري الكم والكيف وهما من معايير مبدأ التعاون الذي وضعه غرايس ضمن مباديء الاستلزام الحواري.

ويواصل السكاكي شرحه لعلم المعاني ويوضح ما يقصده في قوله(خاصية التركيب)، بأنها" ما يسبق منه على الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريًا مجرى اللازم له؛ لكونه صادرا عن البليغ وأعني بالفهم؛ فهم ذي. لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما له هو هو حينا الفطرة السليمة، مثل ما يسبق على فهمك من تركيب: إن زيدا منطلق، إذا سمعته عن العارف، بصياغة الكلام ،من أن يكون مقصودا به نفي الشك، أورد الإنكار، أو من تركيب: زيد منطلق من أنه يلزم مجرد القصد على الإخبار، أو من نحو:الإنشاءمنطلق بترك المسند إليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها"[4].

فالتركيب يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه، ويرتكز علم المعاني عند السكاكي على التركيب الذي له دلالة مفيدة سواء كانت هذه الدلالة حرفية مباشرة أم ضمنية غير مباشرة، وكل ذلك يفهم من خلال المقام، وربما هذا ما تقوم عليه النظرية التداولية الحديثة على القصد

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر, دار المعرفة الجامعية, الأسكندرية,2002م, ص81 ,82.

[2] السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم, دار الكتب العلمية, بيروت/ لبنان, د.ط, 1983م, ص247.

[3] ينظر: مسعود صحراوي, التداولية عند علماء العرب, ص51.

[4] السكاكي: مفتاح العلوم, مرجع سابق, ص248.

والإفادة، ومن هنا فنظرية الأفعال الكلامية العربية قد تضمنت دراسة التراكيب الدالة المفيدة التي لها معاني حرفية مباشرة ، ومعاني غير مباشرة منجزة من الناحية التواصلية.

وتتو افق رؤية السكاكي مع ما ذهب إليه الخطيب القزويني الذي اهتم في دراسته لظاهرة الخبروالإنشاء على مطابقة المقال للمقام الذي يرد فيه مع مراعاة مقتضى الحال، ويعرف علم المعاني بأنه" علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال"[1].

فقد كانت القصدية المتحكم الرئيس في رؤية الدارسين العرب وتفسيرهم لأنواع الكلام وأساليبه، فقد كانوا سباقين في تناولهم لنظرية الأفعال الكلامية ودراستها، ونجدها مندرجة عندهم تحت مفهوم الأغراض الكلامية للأساليب، فقد قام الدرس اللغوي العربي القديم على محوروظيفي يبحث عن دوركل جزء من الجملة في آلية صناعة المعنى والغرض الكلامي؛ أي أنه يبحث عن المفاهيم والإجراءات التي تتحكم في آليات إنتاج الكلام طبقا للأغراض التواصلية المختلفة وذلك عن طريق إنفاذ البصر في البنية الخطابية المنجزة للجملة العربية انطلاقًا من المحور الدلالي الذي يستعمله المنتج لصنوف الأفعال الكلامية[2].

وتبرز ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة بوضوح في تناول السيوطي لقضية الإنشاء والخبر في الإتقان، وقد خصص له فصل سماه بالنوع: (السابع والخمسين: الخبروالإنشاء)، وتتمثل هذه الظاهرة، في خروج كثير من الأساليب الخبرية والانشائية عن معانيها الحرفية الأصلية إلى معان مستلزمة يحددها السياق والمقام الذي يجري فيه الخطاب،فقد تحدث عن الأغراض المختلفة التي يخرج إليها أسلوبا الخبروالطلب(الإنشاء) عند امتناع اجرائهما على الأصل.

و يعد كتاب الاتقان في علوم القرآن خير مثال على ذلك، فهو يمثل أهم المدونات التراثية في علوم القرآن، و إثباتًا لهذا جاء هذا البحث لاجراء مقاربة تداولية -لأفعال الكلام غير المباشرة- لهذا الكتاب باعتباره مدونة تتضمن خطابًا تفسيرًا للقرآن الكريم، ويتم ذلك بالنظر إلى المنحى التأويلي الذي سلكه السيوطي في تناوله لقضية الإنشاء والخبر في القرآن الكريم، ويتضح ذلك من خلال البحث بالأدوات الاجرائية التي وظفها السيوطي للكشف عن معاني الآيات وما تستلزمه من مقاصد ضمنية، وأغراض تواصلية، وهذا في ضوء الحيثيات السياقية للآيات القرآنية.

---

[1] القزويني جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة, تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي, دار الجيل, بيروت, لبنان, ط3, 1993م, 52/1.

[2] ينظر: جميلة يومبعي: أفعال الكلام غير المباشرة مقاربة تداولية في سورة الإنسان,مجلة مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب, جامعة قاصدي مرباح/ورقلة, مج27, ع5(ر.ت74), 2023م, ص92

(المبحث الأول)

إنجازية الإنشاء في كتاب الإتقان

أولاً: مفهوم الإنشاء:

يرد هذا التعريف في ثنايا ضبط القدماء لمعاقد علم المعاني، وفي إطار التقابل الحاصل بينه وبين الخبر، ويميز بينهما استناد إلى معايير الهدف، و اتجاه المطابقة مع الو اقع والحالة النفسية للمتكلم والصيغة، وطبيعة العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب، ومضمون العبارة اللغوية[1].

عرفه السيوطي بقوله: " إِنِ اقْتَرَنَ لفْظِه بمَعْنَاهُ وَالْمُحَقِّقُونَ عَلَى دُخُولِ الطَّلَبِ فِي الإنشاء وَأَنَّ مَعْنَى اضْرِبْ مَثَلًا وَهُوَ طَلَبُ الضَّرْبِ مُقْتَرِنٌ بِلَفْظِهِ، وَأَمَّا الضَّرْبُ الَّذِي يُوجَدُ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَعَلِّقُ الطَّلَبِ لَا نَفْسُه"[2].

كما أورد تحديدات الطلب فقال:" الْكَلَامُ إِنْ أَفَادَ بِالْوَضْعِ طَلَبًا فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِطَلَبِ ذِكْرِ الْمَاهِيَّةَ أَوْ تَحْصِيلِهَا أَوِ الْكَفِّ عَنْهَا وَالْأَوَّلُ الِاسْتِفْهَامُ وَالثَّانِي الْأَمْرُ وَالثَّالِثُ النَّهْيُ وَإِنْ لَمْ يُفِدْ طَلَبًا بِالْوَضْعِ فَإِنْ لَمْ يَحْتَمِلِ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ سُمِّيَ تَنْبِيهًا وَ إِنْشَاءً لِأَنَّكَ نَبَّهْتَ بِهِ على مَقْصُودِكَ وَ أَنْشَأْتَهُ أَيِ ابْتَكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ سَوَاءٌ أَفَادَ طَلَبًا بِاللَّازِمِ كالمتمني وَالتَّرَجِّي وَالنِّدَاءِ وَالْقَسَمِ أَمْ لَا كَأَنْتِ طَالِقٌ وَإِنِ احْتَمَلَهُمَا مِنْ حيث هو فهو الخبر"[3].

وينحصر الإنشاء الطلبي عند السيوطي في الأبواب الخمسة الأصلية، الأمر، والنهي، والاستفهام والنداء، والتمني، وهذه الأبواب بمثابة أفعال كلامية بالمفهوم التداولي الحديث، وما سوى ذلك – عنده- من نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل ويعرف السيوطي الطلب بأنه :

وتتمثل الأفعال الطلبية في أفعال التكليف، والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معين، ويضم هذا الصنف مجموعات من الأفعال الكلامية التي تختلف من حيث قوتها

---

[1] ينظر: نعيمة الزهري: الإنشاء وأساليبه بين ألفية بن مالك والنحو الوظيفي, ص516

[2] السيوطي(المتوفى: 911هـ): الإتقان في علوم القرآن, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط: 1394هـ/ 1974 م, 256/3.

[3] الإتقان: 256/3

الانجازية باختلاف السياق والمقام الذي يجري فيه الخطاب، وحسب طبيعة العلاقة بين المتكلم والسامع، وتشمل جميع الصيغ الطلبية؛ كالأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني.

وعند إجراء معاني الطلب الخمسة على أصلها، فإن العبارة اللغوية تحمل المعنى الذي تدل عليه صيغتها الصورية من نداء وأمر ونهي واستفهام وغيرهما، وعندما يتعذر ذلك ؛ أي تؤدي المعاني السالفة في نطاق شروط لا تنضبط لمبدأ الإجراء على الأصل، فإنها تخرج إلى معان فرعية أو إضافية، إن عملية الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم يتم خلال مرحلتين متلازمتين؛ الأولى: أن يؤدي عدم مطابقة المقام إلى امتناع إجراء المعنى الأصلي. والثانية: يتولد عن الاخلال بشرط المعنى الأصلي، ومن ثمة امتناع إجرائه معنى آخر يناسب المقام[1].

إن خروج الأسلوب الطلبي إلى دلالات أخرى محكوم بشروط امتناع إجراء هذه الأغراض على أصولها، فحينها يكون المقام ما نعًا لإجراء الغرض على الأصل، فينتقل للدلالة على معنى لازم فالانتقال من غرض إلى آخر يتم في مرحلتين[2]: أولهما: أن يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق احد شروط الإجراء على الأصل. ثانيهما: أن يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي وامتناع إجرائه معنى آخر قد يكون من المعاني الخمسة او غيرها.

وسوف يقدم البحث عرض وتحليل لبعض الممارسات التفسيرية عند السيوطي- في كتاب الإتقان في علوم القرآن- والتي يدرس فيها كل من الأساليب الخبرية والإنشائية مرتبطة بوظائفها التداولية، موصولة بالاستعمالات المختلفة الواردة فيها، ومع الأخذ بعين الاعتبار بالظروف المقامية للخطاب، وأحوال المتخاطبين، وغير ذلك من الاعتبارات التداولية، مما يجعل كتاب الإتقان يمثل منحى تداولي ومسلكًا وظيفيًا في التعامل مع كتاب الله عزوجل.

أولاً: المعاني المستلزمة عن أسلوب الأمر:

يُعرف الأمر بأنه" صيغة وضعت لطلب فعل، أو طُلب بها فعل، بأداة على وجه الاستعلاء"[3]. وعرفه ابن يعيش بأنه: " طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله، ولصيغته أسماء بحسب إضافاته،

[1] العياشي إدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص34, 35

[2] ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد, دار الآمان الرباط, 2006م, ص188, 189

[3] الجرجاني(ت:229هـ): الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة, تحقيق: عبدالقادر حسين,مكتبة الآداب,23ميدان الأوبرا- القاهرة,1997م, ص100. عبد المنعم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية

فإن كان من الأعلى إلى ما من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى نظيره قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء"[1].

وتعد العناصر المكونة لدلالة الأمر[2] بمثابة قوانيين شأنها في ذلك شأن شروط المحادثة عند سيرل حيث يعد الخروج عن قاعدة من القواعد مرادفًا لخروج العبارة من معناها الحرفي إلى معناها المستلزم، وإن فكرة " ربط الدلالات التحيلية للطلب بتخلف شرط من شروط إجرائه على الحقيقة فكرة تراثية من شأنها – حين تكتمل بالكشف عن جميع العلاقات المطردة بين تولد دلالة من الدلالات التحويلية لأساليب الطلب وتخلف عنصر من العناصر المكونة لدلالته الحقيقية أن تمثل نظرية متكاملة قادرة على تفسير ظاهرة التحول الدلالي"[3].

عرض البحث العناصر الدلالية المكونة للدلالة الحقيقية لصيغة الأمر، وهي تمثل عمومًا جملة الشروط الواجب توافرها لإجراء الأمر على حقيقته، وأشار الإمام السيوطي في الاتقان أن

دلالية, دار الوفاء للطباعة والنشر, الأسكندرية, مصر, ط1, 2007م, ص180

[1] ابن يعيش (ت: 643هـ): شرح المفصل: دار الكتب العلمية, بيروت, 2001م,,289/4

[2] وتتمثل هذه العناصر فيما يلي: 1/ عنصر العلو: أي مكانة الآمر أعلى من مكانة المأمور, كمكانة الخالق بالنسبة للمخلوق, والسيد بالنسبة لخادمه.2/ عنصر الاستعلاء: هو عنصر مقامي, يتصل بهيئة النطق وطبيعة الأداء الصوتي للآمر, ويشترك العنصران العلو والاستعلاء في تحديد دلالات الوجوب, والدعاء والالتماس. وعنصر الإمكان: أن يكون المامور للقيام بالفعل بمقدرته فعله. وعنصر الزمان: ينبغي أن يكون الفعل المأمور القيام به حاصلاً وقت الطلب, بل في المستقبل؛ لأن تخلف عنصر الاستقبال في الأمر يخرجه إلى معانٍ تحويلية أخرى؛ ويؤكد سيرل على هذا العنصر التداولي في الطلب عمومًا, إذ يقول: " إذا انا طلبت من غيري تحقيق شيء يبدو بوضوح أنه أخذ في إنجازه أو على اهبة الشروع في تحقيقه في استقلال عن طلبي, فإن طلب هذا سيكون لا محل له, وبالتالي لاغيًا. 5/ عنصر المصلحة: الذي يؤدي دورصا مهمًا في تحديد دلالة صيغة الأمر, فالأصل أن الفعل المأمور القيام به يمثل مصلحة بالنسبة للآمر كما يؤثر عنصر المصلحة في تحديد دلالة صيغة الأمر.6/ عنصر التفويض: أي أن يكون تنفيذ الأمر موكولاً إلى المأمور, وإن كان غير ذلك خرج الأمر إلى دلالات مجازية اخرى.7/ عنصر الإرادة: لتدل صيغة أفعل على الأمر؛ لأن الخطوة الأولى للكشف عن وجود تحويل دلالي هي معرفة عدم إرادة المعنى الحقيقي. ينظر: حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف, دار الأفاق العربية للطباعة والنشر, القاهرة, ط1, 2007م صـ47- 64. ليلى كادة: اسلوب الأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية (مقاربة تداولية), مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة,, ع13, 2017م, ص 403- 405

[3] حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف: ص7

دلالة الأمر الحقيقية هي الوجوب وقد يحدث أن يخرج إلى دلالات أخرى؛ ويمكنني القول أن هذه الدلالات تعد مثابة أفعالاً لغوية انجازية مستلزمة مقاميًا، ومن الدلالات -التي يخرج إليها الأمر- ما أشار إليها السيوطي، ما جاء فيما ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ {البقرة:65}. فهذه الآية تنجز فعلاً لغويًا مباشرًا وهو الأمر، ويستدل عليه بصيغة الأمر في الآية: (كونوا)، في حين أن المنجز في الآية الكريمة في السياق الذي وردت فيه ينجز فعلاً لغويًا غير مباشر، وهو يحمل قوة مستلزمة مقاميًا، دلالتها التسخير والتذليل "عَبَّرَ بِهِ عَنْ نَقْلِهِمْ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ إِذْلَالًا لَهُمْ فَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الْإِهَانَةِ"[1].

فبين المقام عدم قدرته على الفعل، فليس باستطاعتهم أن يكونوا كذلك، ولكنهم انقادوا لأمر ربهم فنفذ فيهم، وصاروا قردة بمجرد توجيه هذا الخطاب إليهم.

ووضح السيوطي أن الأمر في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ {فصلت:40 }، يتضمن وعيدًا مجملاً مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهْدِيدِ، أَوْ فِي الْإِغْرَاءِ الْمُكَنَّى بِهِ عَنِ التَّهْدِيدِ. وَجُمْلَةُ: إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَعِيدٌ بِالْعِقَابِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْكِنَايَةِ"[2]. فالآية تنجز فعلاً لغويًا مباشرًا، وهو فعل الأمر المتمثل في صيغة: (اعملوا)، كما تنجز فعلاً لغويًا غير مباشر مستلزمًا مقاميًا وهو "التهديد إِذْ لَيْسَ الْمُرَادُ الْأَمْرَ بِكُلِّ عَمَلٍ شَاءُوا"[3].

ويمكننا القول أن فعل الأمر: (فأتوا) في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ {البقرة:23 }. في هذه الآية الكريمة قد انتقل من معناه الأصلي إلى معنى مقامي، وهو إظهار الضعف والعجز، فالتعجيز هنا؛ يتمثل في عدم قدرة المأمور على الإتيان بسورة من مثله فليس المراد هنا طلب ذلك منهم، بل إظهار عجزهم، فهذه الآية الكريمة تنجز فعلاً لغويًا مباشرًا هو الأمر المتمثل في صيغة الأمر (فاتوا)، ويحمل قوة انجازية غير مباشرة مستلزمة مقاميًا هي" التَّعْجِيزُ إِذْ لَيْسَ الْمُرَادُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَلْ إِظْهَارُ عَجْزِهِمْ"[4].

يستدل الإمام السيوطي على ذلك بعلم الآمر وهو الله عزوجل بما طلب من البشر أن تخبره به علمًا مطلقًا مسبقًا، وعلمه عزوجل بجهل هؤلاء، وعدم قدرتهم على أن يأتوا بمثل هذا

[1] الإتقان: 277/3.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير: الدار التونسية للنشر' تونس, 1984م, 305/24.

[3] الإتقان:277/3

[4] الإتقان: 277/3.

القرآن، ولا حتى بسـورة، فهو على علم بعدم قدرتهم على الإتيان؛ وهذا ما صـرف الفعل عن معناه المباشـر لأن المراد تبكيتهم، وإظهار عجزهم، فالفعل الكلامي خرج من معنى الطلب والتوجيه إلى معنى التعبير؛ لأن الفعل التعبيري هو ما يبين فيه المتكلم موقف معين، فليس المراد هنا التغيير كما بين الإمام السيوطي.

ثانيًا: المعاني المستلزمة عن أسلوب النهي في الإتقان:

مفهومه: هو طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء"[1]، فأسلوب النهي يشترك مع الأمر في الاسـتعلاء. يقول السـيوطي: " النهي هو طلب الكف عن فعل، وصـيغته لا تفعل، وهي حقيقة في التحريم، وقد ترد مجازًا لمعاني مقامية"[2] . فإن اكثر العناصـر المكونة لحقيقة النهي عنصـرين العلو والاسـتعلاء، فبتو افرهما يكون النهي على حقيقته، وإذا تخلف أحدهما حدث اسـتلزامًا مقاميًا للمعاني[3].

إن توفر العناصـر المكونة لأسـلوب النهي يجعل هذا الأسـلوب على حقيقته، من حيث يعد الخروج عن هذه العناصـر تحولاً دلاليًا، ولذلك تبرز أهمية " فكرة ربط المعاني التحويلية للصـيغة بغياب مكونات دلالية بعينها من المكونات التي تمثل شـروطاً لإجرائها على حقيقتها، وذلك أن من شـأن هذه الفكرة ان تقودنا إلى التنبؤ بدلالات مجازية يمكن أن تؤديها الصـيغة، وإن كانت غير مستعملة لأدائها"[4].

والجدير بالذكر أن أسـلوب الأمر والنهي في الدراسـات التداولية ينظر إليهما على أسـاس كونهما أفعالاً انجازية؛ فالمخاطب عندما يأمر أو ينهي في مقامات خطابية، فإنه ينجز مباشـرة وبواسـطة عملية التلفظ ذاتها فعل أمر أو نهي. ويتدخل المقام التداولي بكل مكوناته من متكلم ومخاطب وموضـوع للخطاب والظرف الزماني والمكاني الذي يقع فيه الخطاب ودرجة التعارف بين طرفي التواصل ونوع المعارف بينهما كقرائن مساعدة لتحقيق الأوامر والنواهي.

---

[1] السبكي(ت:773هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح, تحقيق: عبدالحميد هنداوي, المكتبة العصرية للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, 2003م, 470/1

[2] الإتقان: 278/3

[3] ينظر: حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب في الحديث النبوي الشريف: دار الأفاق العربية للطباعة والنشر, القاهرة, ط1, 2007م, صـ 82- 86. ينظر: ليلى كادة: اسلوب الأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية, ص406.

[4] حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف, ص86.

وقد أشار السيوطي إلى أن النهي له معاني مباشرة ، ولكن قد يتعدى ذلك إلى دلالات أخرى حسب سياقها المقامي الذي نشأت فيه، وهذه المعاني قد يصح أن نقول عنه أنها قوة انجازية مستلزمة حواريًا حسب مقامها، ومن أهم المعاني التي يخرج إليها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾{طه:113}، فتتمثل القوة الانجازية الحرفية في صيغة النهي(لا تمدن)، نهي المخاطب عن إطالة النظر إلى مظاهر النعيم عند الاخرين، وهذا ليس معنى مستلزمًا مقاميًا، بل القوة الانجازية لهذا النهي تتمثل في تحقير هذا الفعل أي" تحقير النظر إلى الدنيا وزخارفها؛" فهذا قليل حقير"[1].

كذلك وضح السيوطي المعنى المستلزم عن النهي في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ﴾{آل عمران:8}، فتنجز هذه الآية فعلاً لغويًا مباشرًا يستدل عليه بقرائن بنيوية ويتمثل في صيغة النهي: (لا تزغ)، ولكن المنجز للآية في السياق الذي وردت فيه ينجز فعلاً لغويًا غير مباشر وهو "الدعاء"[2]. ونلاحظ هنا خروج النهي إلى معنى التضرع والتوسل والدعاء.

و مثل السيوطي على خروج النهي عن معناه إلى معنى مستلزمًا مقاميًا، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ {المائدة: 101}. فهذه الآية تنجز فعلاً لغويًا مباشرًا يستدل عليه بقرينة بنيوية بصيغة النهي: (لا تسألوا)، كما تنجز فعلاً لغويًا يحمل قوة انجازية غير مباشرة مستلزمة مقاميًا وهي "الإرشاد[3]. فالنهي في هذه الآية حاملاً بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد فهو موجه من الله تعالى العالم بكل شيء إلى الذين آمنوا، فقد انتقل إلى معنى غير معناه الحقيقي لامتناع إجرائه على معناه الأصلي، بسبب عدم مطابقته مقاميًا؛ أي وروده في مقام يتنافى مع ذلك المعنى الأصلي.

وبين السيوطي ما يحمله النهي من دلالة مقامية خاصة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾ {الإسراء: 37}، وهي كراهية المفاخرة. فالنهي في هذا الآية يحمل قوة انجازية

[1] الإتقان: 278/3.

[2] الإتقان: 278/3

[3] الإتقان: 278/3

مباشرة تتمثل في النهي الذي يدل عليه صيغة (لا تمش)، كما تحمل قوة انجازية غير مباشرة مستلزمة مقاميًا وهي المرادة تتمثل في : "الكراهية"[1].

ونلاحظ أن الدلالات التي تخرج إليها صيغة النهي أقل من الدلالات الاستلزامية لصيغة الأمر، ولعل ذلك يعود " بدوره إلى طبيعة العلاقة بين الأمر والنهي، وهي طبيعة أدت إلى حكوت صيغة الأمر مغنية عن النهي في أحيان كثيرة، فالأمر بالشيء نهي عن مقابله"[2].

ثالثًا: المعاني المستلزمة عن أسلوب الاستفهام في الإتقان:

كان الأسلوب الاستفهامي كغيره من الأساليب الطلبية محل اهتمام الدارسين المعاصرين حيث ذهب أحدهم ويدعى: (كولينجوود Collinjuwod) إلى التركيز على دلالات الاستفهام، إذ لاحظ هذا الدارس أهمية السؤال في حياتنا الثقافية، فإذا كانت كل معرفة في حقيقتها مجرد جواب على سؤال معين، فإن الفعل الاستفهامي أو إثارة السؤال هو الفعل الأكثر أهمية ضمن الأفعال اللغوية[3].

كما يعده آخرون_ أسلوب الاستفهام_ من الآليات اللغوية التوجيهية" بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل لا حسب ما يريده الآخرون..."[4].

ويعد الاستفهام من أكثر الأساليب انتقالاً إلى دلالات تحويلية عديدة[5]، وأي تخلف للعناصر التي تحقق دلالة الاستفهام الأصلية يؤدي إلى العدول، وقد اهتم العرب القدماء بمعاني

---

[1] الإتقان: 278/3.

[2] حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف, ص86الإتقان

[3] محمد أديوان: نظرية المقاصد بين حازم القرطجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة, مجلة الوصل, معهد اللغة العربية وأدابها, تلمسان, 1994م, ص41-42.

[4] عبدالهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب, ص352

[5] أ/ العناصر الدلالية المكونة للاستفهام: أولاً: عنصر الزمان: أن يكون الاستفهام متعلقًا بالمستقبل؛ أي يستفهم الجاهل بالخبر بشيء ما زال لم يدركه بعد. ثانيًا: عنصر الإمكان: أن تكون الإجابة؛ أي إجابة السؤال في إمكان المسؤل فيكون عارفًا بالإجابة. ثالثًا: الإرادة: ويعني عنصر الإرادة بالنسبة للاستفهام أمرين: انتظار الإجابة., والاكتفاء بها, فأما انتظار الإجابة؛ فالمقصود بها أن يكون السائل مكتفيًا بالإجابة التي تحددها قواعد اللغة لسؤاله, مثال: هل جاء زيد, فالإجابة: نعم (قد جاء). 3/فالإجابة نعم قد حققت الاكتفاء عوض

الاستفهام وقدرته على توليد دلالات جديدة يخرج إليها بفضل السياق الاستعمالي للغة، فقد كانت دراستهم لمعاني الاستفهام دراسة مستقصية لم يكن اهتماما اعتباطيا، و إنما جاء" نتيجة إحساسهم بخصوبة فعل الاستفهام وقدرته على توليد دلالات متنوعة وشديدة التداخل والتشعب"[1].

وقد خرج الاستفهام في الخطاب القرآني في كتاب الإتقان، عن معناه الأصلي المباشر إلى معنى غير مباشر وذلك ضمن مقامات مختلفة تحمل قوة إنجازية مستلزمة مقاميًا، ومن ذلك خروج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ {سورة الشعراء: 73}، إلى معاني مستلزمة مقاميًا للاستفهام بـ (هل) في هذه الآية، وهذا الاستفام له قوة إنجازية مباشرة غرضه الاستفهام وهو غير مقصود، في حين أن القوة الانجازية غير المباشرة هنا التقرير وهي المستلزمة مقاميا؛ أي "ِ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ وَالِاعْتِرَافِ[2]بعجزه." فالمقام مقام محاجة بين إبراهيم عليه السلام وقومه، "فأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ فَتْحَ المجادلة ليعجزوا عَن إِثْبَاتِ أَنَّهَا تَسْمَعُ وَتَنْفَعُ"[3].

كما جاء الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ {الإسراء: 40}، يحمل قوة إنجازية مباشرة وغير مقصودة، وهي الاستفهام ذاته؛ لأنه لم يقصد به الاستخبار والاستعلام، وقد امتنع إجرائه على معناه الأصلى لأن المخاطب، حشاه أن يفعل ذلك، فالقوة الانجازية غير المباشرة وهي المستلزمة مقاميًا" إِنْكَارُ تَوْبِيخٍ وَالْمَعْنَى عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهُ وَ اقِعٌ جَدِيرٌ بِأَنْ يُنْفَى فَالنَّفْيُ هُنَا غَيْرُ قَصْدِيٍّ وَالْإِثْبَاتُ قَصْدِيٌّ"[4].

والمقصود أن الله تعالى ينكر عليهم زعمهم و افتراءهم بأنه –عز وجل- أعطاهم، وأن الملائكة بنات الله، (فاصفاكم) أي: خصكم، (بالبنين)، ومعلوم أن الملوك إنما يصطفون لأنفسهم أفضل ما يوجد دون الأضعف والأقل فإذا كنتم تحتقرون البنات وتئدونهن، كما يقول عنكم :

أن نقول نعم قد جاء. ينظر: حسام أحمد القاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة: ص111- 114 . فطيمة حويمي: الأساليب الانشائية ودلالتها في رواية "الأسود يليق بك"(من منظور اللسانيات التداوليةي): رسالة ماجستير, إشراف : صفية طبيني, جامعة محمد خض ر- بسكرة, كلية الآداب واللغات, 2014م, ص15

[1] فداق بلقاسم: نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة, جامعة البليدة, د.ط, د.ت, ص101.

[2] الإتقان: 269/3.

[3] ابن عاشور: التحرير والتنوير,الدار التونسية للنشر' تونس, 1984م, 139/19

[4] الإتقان: 268/3.

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)[1]. فكيف تنسبون ذلك لله عزوجل، وهو مالك الملك، كيف يخصكم بالأبناء الذين هم أشرف وأعظم، و اتخذ الأضعف والأقل؟! فهذا يدل على سوء نظرهم وضعف عقولهم.

وجاء الاستفهام بـ(هل) في قوله تعالى: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ) {الأعراف53}، يحمل قوة انجازية مباشرة، وهي غير مقصودة، لأنه لم يُقصد به الاستفهام الحقيقي، أو انتظار الجواب منهم، واستخبارهم، و إنما القوة الانجازية غير المباشرة المستلزمة مقاميًا من الاستفهام في هذه الآية "التمني"[2]. أن يكون هناك شفعاء للمقصودين في سياق هذه الآية؛ لأنهم في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله ودل بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني.

رابعًا: المعاني المستلزمة عن أسلوب النداء في الإتقان:

يعد النداء من أقسام الطلب الدالة على الاستحضاروإرادة الإقبال عليك[3]. وقد أشار إليه السيوطي بقوله: "وَهُوَ طَلَبُ إِقْبَالِ الْمَدْعُوِّ عَلَى الدَّاعِي بِحَرْفٍ نَائِبٍ مَنَابَ"أَدْعُو"وَيَصْحَبُ فِي الْأَكْثَرِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْغَالِبُ تَقَدُّمُهُ نَحْوُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} {يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}"[4]. وقد أخرج البيهقي و أبو عبيدة وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأوعها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه"[5].

فهو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم، أو هو طلب الإقبال بالأداة (يا) أو إحدى أخواتها، ويستعمل للنداء في الكلام لتنبيه المنادى الذي يكون بعيدًا أو في حكم البعيد كالنائم أو الساهي كما يتحمل في حكم القريب[6].

---

[1] سورة النحل: 58

[2] الإتقان:272/3.

[3] ينظر: أحمد محمد فارس: النداء في اللغة العربية والقرآن, دار الفكر اللبناني, بيروت-لبنان, ط1, 1989م, ص28.

[4] الإتقان: 281/3

[5] الإتقان:110/3

[6] ينظر: إبراهيم عبود ياسين السمرائي: الأساليب الانشائية في العربية(النمط والاستعمال), إشراف: حنا بن جميل حداد, رسالة ماجستير, جامعة اليرموك, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, الأردن, 1987م ص43

وذكر السيوطي فائدته فقال: " كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ النِّدَاءُ بِ"يَا أَيُّهَا"دُونَ غَيْرِهِ لِأَنَّ فِيهِ أَوْجُهًا مِنَ التَّأْكِيدِ وَأَسْبَابًا مِنَ الْمُبَالَغَةِ: مِنْهَا مَا فِي"يَا"مِنَ التَّأْكِيدِ وَالتَّنْبِيهِ وَمَا فِي "هَا"مِنَ التَّنْبِيهِ وَمَا فِي التَّدَرُّجِ مِنَ الْإِبْهَامِ فِي"أَيُّ"إِلَى التَّوْضِيحِ وَالْمَقَامُ يُنَاسِبُ الْمُبَالَغَةُ وَالتَّأْكِيدُ لِأَنَّ كُلَّ مَا نَادَى لَهُ عِبَادَهُ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَعِظَاتِهِ وَزَوَاجِرِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَمِنَ اقْتِصَاصِ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمِمَّا أَنْطَقَ اللَّهُ بِهِ كِتَابَهُ أُمُورٌ عِظَامٌ وَخُطُوبٌ جِسَامٌ وَمَعَانٍ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَيَقَّظُوا لَهَا وَيَمِيلُوا بِقُلُوبِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ إِلَيْهَا وَهُمْ غَافِلُونَ فَاقْتَضَى الْحَالُ أَنْ يُنَادَوْا بالآكد الأبلغ"[1].

ويعد النداء من الأفعال الكلامية التوجيهية التي يقوم به المخاطب ليلفت انتباه المستمع ويجعله مهيأ لتلقي الخطاب الذي يسعى إلى إيصاله إليه، ويعد النداء في الخطاب القرآني بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود من الخطاب مباشرة فنجدها تشتمل على:" أصول الشريعة، وقواعد الحكم، وآداب المعاملات، والدعوة إلى توحيد الله"[2].

إن الجملة الندائية مركبة تتألف من ثلاثة عناصر: الأداة والمنادى ومضمون النداء، ليس كما تصور بعض القدماء الذين وقفوا عند لفظ المنادى، وراحوا يجهدون أنفسهم في تقدير عامله، وبذلك ابتعدوا عن جوهر اللغة وعن وظيفتها التواصلية[3].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن: 283/3

[2] ينظر: . أحمد محمد فارس: النداء في اللغة والقرآن,دار الفكر اللبناني,1989م,ط1, صـــ136. ينظر: عمر شاشو: أسلوب النداء في القرآن الكريم : دراسة تداولية: سورة البقرة أنموذجا, رسالة ماجستير إشراف: الشيخ قاضي,جامعة عبدالحميد باديس- مستغانم, كلية الآداب والفنون, 2018م,, ص120.

[3] وتتمثل العناصر المكونة لدلالة النداء فيما يلي: أولاً: الأداة: ويلاحظ أن الأساس الأول الذي وزع النحاة القدماء أدوات النداء عليه هو الوظيفة النحوية وهي النداء المحض, الاستغاثة والندبة وإذ قالوا تقع واو في الندبة, وقيل أن (وا) لا تستعمل إلا في الندبة, وقيل في الاستغاثة إذا استغيث اسم وجب كون الحرف (يا), وكونها مذكورة, أما أدوات النداء الخالص فهي (يا) وهي أم الباب, والدليل على ذلك أنها تستعمل في جميع ضروب النداء, وما عداها لا يستعمل إلا في النداء الخالص الذي لا يدخله معنى التعجب, ولا الندبة ولا الاستغاثة, وباقي الأدوات (أيا, وهيا , وأ , وأي) الممدودتان, وقد اعتمد التداوليين هذا الأساس في توزيع أدوات النداء عندهم, وأسموه القوة الانجازية التي تسهم في تحديد الأدوات التي تقترن بالمكون المندوب والمكون المستغاث والمكون المنادى. ثانيًا: المنادى: هو العنصر الثاني في تركيب الجملة الندائية هو الاسم الذي يقع بعد أداة النداء أو ما يدعى بالمنادى سواء كان النداء نداء محضًا أو كان نداء النداء غير محض أي يخرج إلى معنى الاستغاثة أو الندبة, فالمنادى عند ذاك يكون مستغاثًا به , أو مندوبًا متفجع عليه أو متوجع منه . ثالثًا:

وقد أوجد التداوليون للمنادى في النداء العادي في الجملة بوصــفه فعلا خطابيًا وظائف، وهي[1]:

1/ الاســترعاء: وهذه الوظيفة تتحق عندما يســتهل المتكلم الخطاب بالنداء العادي فإنه يقوم بعملية انتقاء للمنادى أو المخاطب الذي ينوي توجيه الخطاب إليه فيكون النداء في بداية الجملة هو وسيلة استرعاء له.

2/ الحفظ والتعيين: هي الوظيفة الثانية للنداء، وتتحقق هذه الوظيفة حينما يورد المتكلم النداء في ثنايا خطابه فهو يبغي من ذلك التنبيه على أنه ما زال مســتمرا في التواصــل مع المخاطب الذي يكون غالبا قد انتقاه.

3/ التخصــيص والتصــحيح: وهي الوظيفة الثالثة للنداء وتتحقق عندما يأتي المنادى بعد تمام الخطاب لأنه يرد به تعيين المخاطب إما بتخصــيصــه أو تصحيحه. ويحصــل ذلك في مقامين، مقام التباس المخاطب أو إمكان تعدده ومقام الخطأ في انتقائه.

ويعد النداء فعل لغوي _من الأفعال الكلامية_ يتضــمن قوة إنجازية حرفية هي النداء، وقوة إنجازية متضــمنة هي التنبيه والتخصــيص والإغراء، أي تنبيه المخاطب وتخصــيصــه بالنداء اســتعدادًا منه لتلقي ما يلقى إليه من الأوامر أو النواهي، فغالبًا ما نجد النداء مقترنًا بالأمر والنهي والاستفهام الخبري.

وتحقق آلية النداء- في تحليل السيوطي للخطاب القرآني- أغراضًا أخرى مختلفة ؛ أي أفعالاً إنجازية متضمنة؛ كالإغراء والتحذير والاختصاص والتنبية والتعجب والتحسر، وغير ذلك من الأغراض، وحمل كل هذه الآليات على بعدها التداولي يعطيها بعدًا حركيًا متجددًا، مما يجعل تطبيق البعد التداولي في دراسة الخطاب القرآني مناسبًا، ومن ذلك ما جاء من خرج النداء عن معناه إلى معنى مستلزمًا في قوله تعالى ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ {يس:30}. فمؤشر القوة الإنجازية

مضــمون النداء: وهو تلك الأغراض التي يهدف إليها النداء وما يريده المتكلم من الســامع؛ أي ما يحمله النداء من دلالة. ينظر كل من: بلقاســم دفة: بنية الجملة الطلبية ودلالتها في ســورة مدنية, مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري, ج1, دط, 2008م, صــ256. وفطيمة حويمي: الأساليب الانشائية ودلالتها في رواية "الأسود يليق بك"(من منظور اللسانيات التداوليةي): رسالة ماجستير, إشراف : صفية طبيني, جامعة محمد خض ر- بســكرة, كلية الآداب واللغات, 2014م, صــــــ22. أســيل ســامي أمين: النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيون العرب القدماء, القادسية, كلية الآداب, مجلة دراسات إسلامية معاصرة, عدد6, 2012, ص270

[1] أسيل سامي أمين: النداء بين التداولية وأراء النحاة البلاغيين, ص270.

هنا الياء يبين أن القوة الإنجازية المباشرة لهذا الفعل الكلامي هي النداء؛ أي نداء الله عز وجل، لكن القوة الإنجازية غير المباشرة هي التعجب وهي المستلزمة مقاميًا لأنه "وَضَعُ النِّدَاءِ مَوْضِعَ التَّعَجُّبِ... هَذِهِ مِنْ أَصْعَبِ مَسْأَلَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِأَنَّ الْحَسْرَةَ لَا تُنَادَى وَإِنَّمَا يُنَادَى الْأَشْخَاصُ لِأَنَّ فَائِدَتَهُ التَّنْبِيهُ وَلَكِنَّ الْمَعْنَى عَلَى التَّعَجُّبِ"[1].

أما القوة الإنجازية المباشرة في في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ {الشمس: 13}، هي النداء، وهذا المعنى غير مراد، في حين أن القوة الانجازية غير المباشرة والمستلزمة مقاميًا هنا هي "الإغراء والتحذير. فناقة اللَّهِ تَحْذِيرٌ بِتَقْدِيرِ "ذَرُوا" وَ "سُقْيَاهَا" إِغْرَاءٌ بِتَقْدِيرِ "الْزَمُوا""[2].

وأما النداء في قوله تعالى ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ {هود:73 }، جاء يحمل معنى التخصيص، فالقوة الانجازية المباشرة في هذا الآية النداء، وهي غير مقصودة، فالآية تحمل قوة إنجازية غير مباشرة وهي مستلزمة مقاميًا وهي" الاختصاص"[3]، ويقصد به بيت إبراهيم عليه السلام؛ والمعنى : أن رحمة الله عليكم متكاثرة، وبركاته عندكم متوالية متعاقبة، وهي النبوة، والمعجزات القاهرة، فإذا خرق الله العادة في تخصيصكم بهذه الكرمات العالية الرفيعة، فلا تعجبي من ذلك.

إن مؤشر القوة الانجازية الياء لهذا الفعل الكلامي النداء، في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ {النبأ: 40}، يحمل قوة إنجازية حرفية مباشرة، تتمثل في النداء، في حين أن القوة الانجازية غير المباشرة والمستلزمة مقاميًا: "تتمثل في التحسر"[4].

[1] الإتقان:133/3

[2] الإتقان: 282/3. 190/3

[3] الإتقان: 282/3

[4] الإتقان: 282/3

المبحث الثاني
إنجازية الأسلوب الخبري في الإتقان

أولاً: مفهوم الخبر1:

اختلفت أراء العلماء في تحديد مفهوم الخبر إلا أنه هناك قدرًا مشتركًا بينهم يمكن استخلاص تعريفًا له وهو: " ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق أوكاذب، فإن كان الكلام مطابقا للو اقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابقا له كان قائله كاذبا"[2].

يقول السيوطي: "الْخَبَرُ الْكَلَامُ الَّذِي يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ فَأَوْرِدْ عَلَيْهِ خَبَرَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا صَادِقًا. فَأَجَابَ الْقَاضِي بِأَنَّهُ يَصِحُّ دُخُولُهُ لُغَةً، وَقِيلَ: الَّذِي يَدْخُلُهُ التَّصْدِيقُ والتكذيب وهو سَالِمٌ مِنَ الْإِيرَادِ الْمَذْكُورِوَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ كَلَامٌ يُفِيدُ بنفسه نسبة فَأُورِدَ عَلَيْهِ نَحْوُ"قُمْ" فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِي الْحَدِّ لِأَنَّ الْقِيَامَ مَنْسُوبٌ وَالطَّلَبَ مَنْسُوبٌ وَقِيلَ الْكَلَامُ الْمُفِيدُ بِنَفْسِهِ إِضَافَةَ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا"[3].

ثانيًا/ أنواع الخبر:

ميز البلاغيون بين أنواع ثلاثة من الخبر، وهي: الخبر الابتدائي: هو خبر يوجهه مخاطب لمتلقي خالي الذهن، لا يصدر منه إنكارًا لذلك الخبر الذي تلقاه ولا شك، ويكون هذا الخبر خال من

---

[1] لغة: الخبر هو النبأ, يقال نبأه: أي أخبره, ومنه النبي؛ لأنه أنباء من الله. وهو ما ينقل ويحدث به قولاً أوكتابة. ينظر: الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية, تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار,مج1,ط4, 1990م,صـــ98. مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط, مج1, مكتبة الشروق الدولية, د.ط, صـــ66.وعرفه الشريف الجرجاني, بأنه" لفظ مجرد عن العوامل اللفظية, مسند إلى ما تقدمه لفظًا..., والخبر ما يصح السكوت عليه": الشريف الجرجاني: معجم التعريفات, تحقيق:محمد صديق المنشاوي, دار الفضيلة, القاهرة, د.ط, ص84.ومنه" خبرت الرجل خبرًا وخبرة واستخبرته عن كذا فأخبرني به وخبرني".الزمخشري: أساس البلاغة, تحقيق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية, بيروت, 1998م, ص229

[2] عبدالعزيز عتيق: علم المعاني, دار النهضة العربية, بيروت, 2009م, ص46

[3] الإتقان: 257/3.

المؤكدات، مثل: ظهرت نتائج الامتحانات. والخبر الطلبي: ويكون المخاطب في هذا النوع ممتزجًا بالشك فيؤكد المخاطب له الخبر لإزالة الشك في نفسه، نحو: إن نتائج الامتحانات ظهرت. والخبر الإنكاري: أن يكون المخاطب منكر للخبر الذي تلقاه ومجحد له، فيلجأ المخاطب إلى استخدام أكثر من مؤكد نحو نتائج الامتحانات لظاهرة[1].

ثالثًا/ أغراض الخبر:

والأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين؛ إما أن يكون لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر، وهو يقوم على أساس أن الذي يلقى إليه الخبر يجهل حكمه أي مضمونه، ويراد إعلامه أو تعريفه[2]. أو لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة، وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه، بأنه عالم بمضمون الخبر، وإن فهم الكلام هو: " المعنى المستنبط من المواضعات اللغوية، أما فهم المراد أو الحمل[3] فهو المعنى المستنبط نتيجة التفاعل بين متطلبات" المواضعات" اللغوية، ومقتضيات "القرائن" المحيطة بها والنظر في "مساقات" الكلام "ومقتضياته" من أجل تطويق المعنى؛ لاستنباط القصد"[4].

ومن هنا فالغاية التي يلقى من أجلها الخبر هي إفادة المخاطب المعنى الذي يتضمنه الخطاب، أو إفادة السامع أن المتكلم عالم بذلك الخبر، فيكون الخبر هنا لازم الفائدة، ولكن كثيرًا من الأحيان يلقى الخبر ويراد به تحقيق بعض الأغراض البلاغية غير المباشرة، وهذا من أهم

---

[1] ينظر: فضل حسن عباس: البلاغة و أفنانها: (علم المعاني), دار الفرقان, الأردن, 1980م, ص107.

[2] ينظر: عبدالعزيز عتيق: علم المعاني, دار النهضة العربية,ص50

[3] و"فهم المراد" المقصود به فهم مراد المتكلم من كلامه, وهذا قدر زائد على مجرد فهم اللفظ في اللغة, وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في اللفقه والعلم". وهو ما يعرف في الفكر الأصولي, ب" الحمل"و المراد به: " إعتقاد السامع مراد المتكلم من اللفظ". القرافي(ت:684هـ): نفائس الأصول في شرح المحصول, تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود, وعلي محمد معوض, مكتبة نزار مصطفى الباز, ط1, 1995م, 570/2. ينظر: محمد عبدالفتاح الخطيب: القراءة الحديثة للسنة النبوية, وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البلاغ النبوي, بحث ضمن أبحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد,ندوة علمية دولية رابعة, كلية الدراسات الإسلامية والعربية, دبي- الإمارات العربية المتحدة, 323/2, 324.

[4] محمد عبدالفتاح الخطيب: القراءة الحديثة للسنة النبوية, وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البلاغ النبوي, 323/2, 324.

ما تتناوله الدراسات التداولية؛ لا سيما حينما تؤدي معاني تختلف عما يظهر على المستوى المباشر لبنية التراكيب.

وقد أفرد الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن لظاهرة الخبر بابا سماه(وضع الخبر موضع الطلب في الأمروالنهي)، وعرض فيه الآيات القرآنية التي تدخل في هذا السياق، فقال: "{وَمَا تُنْفِقُونَ إلا ابتغاء وجه الله} ، قَالُوا: هُوَ خَبَرٌ وَتَأْوِيلُهُ نَهْيٌ أَيْ لَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ كَقَوْلِهِ: {لَا يمسه إلا المطهرون} وكقوله: {لا تضارو الدة بولدها} عَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ وَقِيلَ إِنَّهُ نَهْيٌ مَجْزُومٌ أعني - قوله: {لا يمسه} - وَلَكِنْ ضُمَّتْ إِتْبَاعًا لِلضَّمِيرِ كَقَوْلِهِ (ﷺ): " إِنَّا لَمْ نَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ ".وَقَوْلِهِ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسرائيل لا تعبدون إلا الله} ضُمِّنَ {لَا تَعْبُدُونَ} مَعْنَى: لَا تَعْبُدُوا، بِدَلِيلِ قوله بعده: {وقولوا للناس حسنا} وَبِهِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ فِي عَطْفِ الإنشاء عَلَى الخبر"[1].

وقد أشار السيوطي إلى الأساليب الخبرية التي تؤدي أغراضًا قد تخالف بنية التركيب الخاصة بها، فخرج الأسلوب الخبري إلى الإنشاء، وهذا الخروج يعتمد على المخاطب في تأويله لبنية التركيب للوصول لقصدية المتكلم، وهذا فيه مشاركة للسامع في انتاج الخطاب، وهنا لا تبقى الدلالة منحصرة في البنية فقط، بل مترامية بين أطراف الخطاب: المتكلم والمخاطب وظروف انتاج الخطاب، وقد نال موضوع الخبر حيزًا في الاتقان، وقد خصه السيوطي بالنوع السابع والخمسين، وبين مواقع الخبر، وسوف أعرض بعض الأمثلة التي تبين للقاريء الأغراض غير المباشرة التي خرج إليها أسلوب الخبر في الاتقان، وومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ {البقرة:233}. فالخبر في هذه الآية: " يحمل على معنى الأمر"[2]. فقد تضمنت الآية الكريمة قوة إجازية مباشرة تمثلت في فعل الإخبار: يرضعن، كما حملت قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في الأمر الموجه إليهم بإتمام الرضاعة عامين كاملين، فقد تنبه السيوطي أن القوة الانجازية للملفوظ في هذه الآية الكريمة قد تحولت من التقرير إلى التوجيه؛ أي لأن المتكلم لا يقصد الإخبار بل يهدف إلى الأمر، على الرغم من كون القرائن البنيوية للملفوظ لا توحي بذلك.

وهذه الآية إرشاد من الله عزوجل للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتين لمن أراد أن يتم الرضاعة، فمعنى قوله: (يرضعن) أي عليهن إرضاع أولادهن، فقد عبر عن

[1] الزركشي:(المتوفى: 794 هـ): البرهان في علوم القرآن, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه, ط1، 1376 هـ - 1957 م, 347/3.

[2] الإتقان: 258/3.

الطلب بصيغة الخبر للإشارة إلى أن ذلك تنادي به الفطرة ويتفق مع طبيعة الأمومة وأن الأمهات يلبين الطلب في بداع من أنفسهن فلذلك عبر بالخبر كأن الإرضاع وقع من غير طلب خارجي، فكان ذلك التعبير مفيدًا للأمر التكليفي ومقررًا للأمر الفطري"[1].

وعليه فالقصد هو الذي يتحكم في كون الجملة خبرية أو انشائية،" فالكلام يصير خبرًا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم إلى الإخبار به"[2]. وقد تضمن الخبر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ {المائدة:64}، معنى الدعاء؛ فاستخدام الفعلين الماضيين في هذه الآية يحمل قوة انجازية مباشرة تتمثل في إثبات صفة اللعن وإمساك الأيد عن النفقة والخير، كما يحمل قوة إنجازية مستلزمة مقاميًا هي:" الدعاء عليهم"[3].

كما بين السيوطي خروج الخبر في قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ {الدخان:49 }. يحمل قوة انجازية مباشرة وغير مقصودة، كما يحمل قوة انجازية غير مباشر مستلزمة مقاميًا وهي المقصودة تتمثل في" الإهانة"[4]، "والتهكم"[5].

فسياق الآية يوضح أنها نزلت في أبي جهل قالَ عِكْرِمَةُ: الْتَقَى النَّبِيُّ (ﷺ) وَأَبُو جَهْلٍ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ لَكَ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فَقَالَ: بِأَيِ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي! وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَا بِي شَيْئًا، إِنِّي لَمِنْ أَعَزِّ هَذَا الْوَادِي وَأَكْرَمِهِ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَذَلَّهُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. أَيْ يَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ بِزَعْمِكَ. وَقِيلَ: هُوَ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِخْفَافِ وَالتَّوْبِيخِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالْإِهَانَةِ وَالتَّنْقِيصِ، أَيْ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ أَنْتَ الذَّلِيلُ الْمُهَانُ"[6].

ومن الآيات التي خرج فيها الخبر إلى معنى الدعاء، قوله تعالى ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ﴾ {النساء:90}. فبالإضافة إلى القوة الإنجازية المباشرة

---

[1] ركبية بري و هاجرغانم : الخبر بمعنى الأمر: دراسة تداولية في الربع الأول من القرآن, مذكرة تخرج مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب, إشراف : عبدالرؤوف عباس, الجزائر, جامعة الشهيد لخضر- الوادي, 2019م, ص58

[2] الشيرازي: شرح اللمع : تحقيق: عبدالمجيد تركي, بيروت, دار الغرب الإسلامي, 1988م, 568/2.

[3] الإتقان:258/3.

[4] الإتقان: 277/3.

[5] الإتقان:111/3

[6] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن, دار الكتب المصرية, القاهرة, 1964م, ط2, 151/16.

الصريحة المتمثلة في ضيق صدورهم عن القتال، يتضمن ملفوظ الآية قوة إنجازية مستلزمة حواريًا هي" الدعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد"[1]. وإن كان سياق الدعاء يقتضى من المتكلم أن يستخدم صيغة الأمر في الدعاء مثلاً كقولك:(لتحصر صدورهم)، ولكن هذا الاستخدام بالأسلوب الخبري كان له أثره على المتلقي؛لأنه يدل على حصول الفعل وتحققه، وكأن هذا الأمر المرجو تحقيقه قد تحقق وصارو اقعًا، وهذه الصيغة كثيرًا ما تستخدم في لغة العرب؛ كأنك عندما تدعو للمتوفى فتقول: رحمه الله، وغفرله وأسكنه الفردوس... وغير ذلك .

ولعل في استخدام الأسلوب الخبري للدلالة على الطلب مقصدًا يريد من خلاله المتكلم دفع المخاطب إلى سرعة الامتثال دون أمر ونهي صريحين، كما رأينا في الأمثلة التي عرضها السيوطي، ونجد التفتازاني يقول: " من الاعتبارات المناسبة لإيقاع الخبر موقع الإنشاء القصد إلى المبالغة في الطلب، حتى كان المخاطب سارع في الامتثال، ومنها القصد إلى استعجال المخاطب في تحصيل المطلوب"[2].

وبعد ذلك يهدم السيوطي ماذكره بقول ابن عربي دون التعليق عليه فيقول:" وَنَازَعَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي قَوْلِهِمْ: إنَّ الْخَبَرَ يَرِدُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَوِ النَّهْيِ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "فلا"رفث لَيْسَ نَفْيًا لِوُجُودِ الرَّفَثِ بَلْ نَفْيٌ لِمَشْرُوعِيَّتِهِ فَإِنَّ الرَّفَثَ يُوجَدُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ وَأَخْبَارُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ بِخِلَافِ مُخْبَرِهِ وَ إِنَّمَا يَرْجِعُ النَّفْيُ إلَى وُجُودِهِ مَشْرُوعًا لَا إلَى وُجُودِهِ مَحْسُوسًا كَقَوْلِهِ: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ} وَمَعْنَاهُ مَشْرُوعًا لَا مَحْسُوسًا فَإِنَّا نَجِدُ مُطَلَّقَاتٍ لَا يَتَرَبَّصْنَ فَعَادَ النَّفْيُ إلَى الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لَا إلَى الْوُجُودِ الْحِسِّيِّ وَكَذَا {لَا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ} أَيْ لَا يَمَسُّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَرْعًا فَإِنْ وُجِدَ الْمَسُّ فَعَلَى خِلَافِ حُكْمِ الشَّرْعِ"[3].

[1] الإتقان:258/3.

[2] التفتازاني : المطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم, تحقيق:عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلمية, بيروت, ط3, 2013م, ص433.

[3] الإتقان: 258/3 , 259

الخاتمة

وتتمثل في أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث،ومنها:

1/ إن علماء العرب القدماء – ومن بينهم السـيوطي- كانوا على وعي كبيربشـيء من نظرية الأفعال الكلامية، وما يؤكد ذلك تقسـيمهم للجملة العربية إلى خبرو انشـاء؛ وتقديمهم لها وصـفًا بلاغيًا قصـديًا، فقد كان تقسـيمهم مبنيًا على وعي تداولي وأسـس منطقية، ولكن جهودهم افتقرت إلى رؤية منهجية شاملة.

2/ يعد مفهوم القصـد الأسـاس الذي بنيت عليه النظرية التداولية مبادئها، لم يغب عن السيوطي في حديثه عن الأغراض التي يخرج إليها الإنشاء والخبر في السياقات المختلفة للخطاب.

المصادروالمراجع

أولاً المصادر:

- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974 م.

ثانيًا: المراجع العربية:

- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الآمان الرباط، 2006م.
- أحمد محمد فارس: النداء في اللغة والقرآن،دار الفكر اللبناني، ط1 ، 1989م، الأسكندرية،2002م.
- التفتازاني : المطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق:عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2013م.
- الجرجاني(ت:229هـ): الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبدالقادر حسين،مكتبة الآداب،23ميدان الأوبرا- القاهرة،1997م.
- الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار،مج1،ط4، 1990م.
- حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الأفاق العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2007م.
- الزركشي:(المتوفى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957 م.
- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- السبكي(ت:773هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2003م.
- السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، د.ط، 1983م.
- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق:محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط.
- الشيرازي: شرح اللمع : تحقيق: عبدالمجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

- ابن عاشور: التحريروالتنوير: د.ت، الدار التونسية للنشر' تونس د.ط، 1984م.
- عبد المنعم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية، مصر، ط1، 2007م.
- عبدالعزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 2009م.
- عبدالهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1،ليبيا،2004م.
- العياشي إدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني(من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانيين الضابطة لها)، منشورات الاختلاف، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت2011م.
- فداق بلقاسم: نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، جامعة البليدة، د.ط، د.ت.
- فضل حسن عباس: البلاغة و أفنانها: (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن، 1980م.
- القرافي(ت:684ه): نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1995م.
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
- القزويني جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3 ،1993م.
- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مج1، مكتبة الشروق الدولية، د.ط.
- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية.
- مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة/ لبنان، 2005م.
- ابن يعيش (ت: 643ه): شرح المفصل: دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

ثالثًا: المراجع المترجمة:

- واوزيناك زتسسيلاف: مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص: ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 ، 2003م.

رابعًا: الدوريات والمجلات العلمية:

- **أسيل سامي أمين: النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء، القادسية، كلية الآداب، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، عدد6، 2012م.**
- **بلقاسم دفة: بنية الجملة الطلبية ودلالتها في سورة مدنية، مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ج1، دط، 2008م.**
- **بوفرومة حكيمة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم: مقاربة تداولية، جامعة محمد بوطياف، المسيلة، مجلة الخطاب، ع3، 2008م.**
- **جميلة يومبعي: أفعال الكلام غير المباشرة مقاربة تداولية في سورة الإنسان،مجلة مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح/ورقلة، مج27، ع5(ر.ت74)، 2023م.**
- **عاصم شحاتة علي: مدخل إلى علم النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفجانغ دريسلر، مجلة التجديد، مج16، ع31، 2012م.**
- **ليلى كادة: اسلوب الأمروالنهي في النظرية اللسانية العربية (مقاربة تداولية)، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة،، ع13، 2017م.**
- **محمد أديوان: نظرية المقاصد بين حازم القرطجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وأدابها، تلمسان، 1994م.**
- **محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية: دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2014م.**
- **محمد عبدالفتاح الخطيب: القراءة الحديثة للسنة النبوية، وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البلاغ النبوي، بحث ضمن أبحاث السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد،ندوة علمية دولية رابعة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي- الإمارات العربية المتحدة.**
- **نسيمة بن خرباش: البعد الإنجازي في تفسير جملة الطلب عند الطاهر بن عاشور، جامعة مولود معمري، تيزى وزو، مجلة الممارسات اللغوية، مج13، ع1، 2022م.**
- **نعمان بوقرة: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية: قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، ع17، 2006م.**

- نعيمة الزهري: الإنشاء وأساليبه بين ألفية بن مالك والنحو الوظيفي، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث،2014م.
- نور حيدر كاظم والبدري، وأحمد عبدالله: الأفعال الكلامية غير المباشرة عند علم الدين السخاوي، جامعة واسط، العراق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج2، ع1، 2021م.

خامسًا: الرسائل العلمية:

- إبراهيم عبود ياسين السمرائي: الأساليب الانشائية في العربية(النمط والاستعمال)، إشراف: حنا بن جميل حداد، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الأردن، 1987م.
- ركبية بري وهاجرغانم : الخبربمعنى الأمر: دراسة تداولية في الربع الأول من القرآن، مذكرة تخرج مقدمة لنيل درجة الماجستيرفي اللغة والأدب، إشراف : عبدالرؤوف عباس، الجزائر، جامعة الشهيد لخضر- الوادي، 2019م.
- سامية يامنة: سياق الحال في الفعل الكلامي: مقاربة تداولية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه،إشراف: أد/ أحمد عزوز، جامعة وهران، الجزائر، 2012م.
- سمية السيد حسن عبدالله: أثرالسياق في توجيه المعنى في حاشية الشهاب الخفاضي على تفسير البيضاوي: بحث مقدم لاستكمال الحصول على درجة الدكتوراه، جامعة بني سويف، كلية الآداب، 2022م.
- عمر شاشو: أسلوب النداء في القرآن الكريم : دراسة تداولية: سورة البقرة أنموذجا، رسالة ماجستير إشراف: الشيخ قاضي،جامعة عبدالحميد باديس- مستغانم، كلية الآداب والفنون، 2018م.
- فطيمة حويمي: الأساليب الانشائية ودلالتها في رواية "الأسود يليق بك"(من منظور اللسانيات التداوليةي): رسالة ماجستير، إشراف : صفية طبيني، جامعة محمد خض ر- بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2014م.
- وناسة كرازي: أفعال الكلام في أحاديث الرسول(دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2018م.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

Voir: M.BakHTINE، Esthetique de la creation verb، Galimard، Paris،p. 29